دور الجمـل والحصـان في الفتـوح العربيـة المبكـرة

د. نبيـه عاقـل
جامعـة دمشق

آ ـ الجمـل :

للجمل في العربية أسماء متعددة . وتستخدم غالبية المصادر كلمة « بعير » للدلالة عليه وهي الكلمة الاكثر شيوعا على لسان البدو حتى يومنا هذا . وتستعمل للمؤنث والمذكر ، وهناك كلمات أخرى مثل « الناقة » وهي للمؤنث البالغ ، « والابل » وهي للجمع ، و « الجمل » للمفرد المذكر . أما «راحلة» فتعني القوي القادر على الاحتمال والاسفار للذكر والانثى ، و « الركاب » بمعنى ، الابل الصالحة للركوب وواحدتها راحلة ، وقد ذكرت في القرآن الكريم (٥٩ ، ٦) ، وقصد منها التفريق بوضوح بين الجمال والخيل .

وفي حالات قليلة استخدمت مصطلحات أخرى ك : « الناضح » للدلالة على الجمل الذي يستخدم عادة لنضح الماء من الآبار ، وقد يستعمل أحيانا للركوب ، و « النجيبة » وهي من جمال الركوب ، وكذلك : « الذلول » و « المطي » فهما أيضا من أسماء جمال الركوب . واستخدمت كلمة « بكر » لمن كان صغير السن . وتطلق كلمة « ظعينة » للدلالة على القفص الخشبي الذي يعلو ظهر الجمل لركب النساء .

وقد ادى فقر المسلمين الاوائل الى قلة عدد الجمال التي رافقتهم في المسيرة الى بدر ، إذ لم يكن بحوزتهم الا ما يقارب السبعين جملا ، وعدد الرجال يزيد على الثلاثمئة مقاتل ، فضلا عن ثقلهم ومتاعهم ، ولذا كان الرجال يتناوبون ركوب الجمال . ويتضح لنا من قراءة أولية لاخبار أغلب سرايا الرسول (ص) وغزواته أن عدد الجمال من الجانبين : المسلم والمشرك ، كان على الدوام أقل من عدد الرجال المشاركين في القتال.

على أن الحال تبدل فيما بعد ، وغدا عدد أوفر من الجمال بتصرف المسلمين ، وذلك بسبب ما غنموه في معاركهم التالية ، وانضمام عدد أوفر من الاعراب راكبي الجمال ، الى الصف الاسلامي . وطبيعي انه كان للجمل أهمية بالغة في الاعمال

دراسات تاريخية ، العددان ٤٧ و ٤٨ ، ايلول ـ كانون الاول ١٩٩٣ .

الحربية لانه كان وسيلة الانتقال الاكثر شيوعا . ولم يأت عصر الفتوح ، حتى كـان أغلب المقاتلين يملكون الجمال .

ولا تذكر المصادر في حديثها عن المعارك التي خاضتها جيوش الفتح المختلفة اي شيء عن وسيلة الانتقال التي استخدمتها هذه الجيوش ، لانه من المعروف أن الجمال كانت هي الوسيلة الاهم ، إلا اذا اشـير الى سواها . وكمثال علـى ذلك فان عمرو ابن العاص حين استخدم خيلا في فتح مصر ، أشارت المصادر الى ذلك صراحة(١) . واستمر اعتماد العـرب على الجمل كوسيلة أساسـية للنقل والانتقـال طوال عصر الفتوح ، وكان بين أهم غنائمهم من شمال افريقيا ، الاعداد الكبيرة من الجمال التي حصلوا عليها من مصر وشمال افريقيا ، رغم أنه كان في جيشهم الذي فتح مصر فرقة خيالة لم يكن لها ما يماثلها في فتوحهم السابقة . وقـد عادوا للاعتماد على الجمل في فتحهم لبلاد المغرب التي كانت قد أهلّت الجمل قبل ذلك بأمد طويل .

اما في المصادر التي تتحدث عن فتح فارس وهضاب آسيا الوسطى ، وبسبب طبيعة الارض، فلا نجد إلا اشارات قليلة للجمال . وربما كانت الجمال التي استعملت في هذه الفتوح هي الجمال ذات السنامين التي تستخدم لنقل العتاد والمتاع ، وليس جمال الركوب ذات السنام الواحد . وقد أدى اعتماد الفاتحين لهذه الاصقاع عـلى البغال والخيل الثقيلة والجمال ذات السنامين الى تغير نمط القتال البدوي الذي كان سائدا من قبل . فلم يعـد المقاتلون يركبـون الجمال أثنـاء القتال ، بل غدا الجيش مؤلفا من مشاة يقاتلون على الاقدام ، وفرسان يقاتلون وهم يمتطون صهوة الخيول ، وغدا هؤلاء الفرسان صفوة المقاتلين .

ولا توفر لنا المصادر معلومات كافية عن وسائل النقل التي استخدمها الفاتحون في عمليات فتح الاراضي القاحلة في الصحراء الكبرى وخراسان . فقد اتبـع المقاتلون في غاراتهم الاولى على خراسان طريق الصحراء ، حيث يندر وجود المـاء ، وبالتالي يصعب استخدام الحصان والبغل . وكان الناس في هذه الاصقاع يستخدمون الجمل ذا السنام الواحد منذ قرون عديدة سبقت محاولة الفتح الاسلامي ، كمـا استخدمه الاسكندر المكدوني في مسيرته من برسيبوليس الى خراسان . ولذا فانه من المرجح ان العرب أيضا استخدموا هذا النوع من الجمال للنقل والركوب عند غزوهم للصحارى والسهوب الواقعة شرق وشمال شرق الهضبة الايرانية .

ومعروف أن العرب استخدموا الجمل ذا السنام الواحد لاغراض عدة ، منهـا الركوب ، ونقل الامتعة ، وللاعمال الزراعية . كما أنـه ليس سهلا أن يقوم المقاتـل

بمواجهة خصمه من على ظهر جمل ، لذا فان استخدام الجمل لركوب الفرسان لم يكن شائعا ، ولا نجد الا اشارات قليلة لهذا النوع من المطية في قتال هذه الفئة من الجيش ، منها على سبيل المثال أن حامل راية هوازن في غزوة حنين قاتل برمحه من على ظهر جمله ، كما ان بعضهم قاتل في القادسية وهو يركب جملا . ولكن هذه الاخبار قليلة ، لا بل ان هناك العديد من الاشارات الى ترجل الرجال عن جمالهم ليقاتلوا ، أو تركهم لها في المعسكرات بحراسة العبيد ، هذا فضلا عن أنهم في موقعة اليرموك وضعوا الجمال حول المعسكرات لحمايتها . وكان على المقاتل الذي لا يملك فرسا أن يقاتل مع المشاة ، أو ان يصنف مع المشاة المحمولة اذا أصر على ركوب جمله . وكانت سرعة المسير تختلف حسب طبيعة الرحلة وتركيبة القوة المقاتلة. وطبيعي أن أسرع المسافرين كانوا السعاة الذين يكلفون بمهام خاصة ، ولا يحملون بالتالي متاعا ، كما لا تصحبهم زوجات وأطفال . فقد كانت الرحلة بين مكة والمدينة ، التي تزيد على ٢٥٠ ميلا ، لا تستغرق أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام بالنسبة لهؤلاء السعاة . في حين ان المثنى بن حارثة قطع المسافة بين المدينة والحيرة والتي تبلغ ٦٧٠ ميلا في عشرة أيام . وتتفق المعلومات التي ترد على ألسنة المسافرين في أيامنا هذه مع هذه الارقام . فقد استطاع الرحالة والباحث المعروف ببحوثه عن جغرافية الجزيرة العربية السيد تسيجر أن يقطع مسافة ٤٥٠ ميلا في مدة تسعة أيام(٢) . كما يتحدث موزيل عن رحلة قام بها ساعيان قطعا خلالها مسافة ٩٤ ميلا في أربع وعشرين ساعة فقط(٣) ، وعن رجل قام برحلة قطع فيها مسافة ١٦٠ ميلا من شروق الشمس حتى مغيبها ، ونام الليل ليؤدي رحلة العودة في اليوم التالي من الشروق وحتى المغيب ، كما فعل في اليوم السابق(٤). ويقدر دواتي ان الذلول المعافى يستطيع قطع ٦٠ــ٧٠ ميلا في اليوم(٥) .

وطبيعي أن يكون متوسط سرعة السرية التي تقوم بمهمة قتالية أبطأ من ذلك ، إذ قد تواجه صعوبات على الارض أو قد ينقصها الماء ، أو قد تنفق بعض رواحلها، الامر الذي جعل الباحثين يتفقون على أن معدل مسير السرية هو ٣٥ ــ ٤٠ ميلا في اليوم الواحد . وكمثال على ذلك يمكننا أن نذكر مسيرة سعد بن أبي وقاص وجيشه الى القادسية . فقد تأثرت مسيرة سعد هذه بأمور واعتبارات لا علاقة لها بقوة احتمال الجند أو الرواحل التي يمتطون . فقد كان في جيش سعد بعض من رجال القبائل اليمنية الذين جاؤوا ومعهم نساؤهم وأطفالهم وأمتعتهم . كما كان تقدمه يتم على مراحل ليضمن توافر الماء والمرعى للرواحل من جهة ، وليضم الى جيشه محاربين من القبائل التي كان يمر بها من جهة أخرى . وطبيعي أن هذا سيؤدي لان تكون سرعته بحدود العشرين ميلا في اليوم ، لا أكثر .

ب ـ الحصان :

في مصادرنا العديد من الاشارات الى الحصان في هذا المجال . وعلى الرغم من

ان الجمل كان في الايام الاولى للفتوح والمعارك ، هو الراحلة المعتمدة اكثر من سواها، الا أن الاشارات الى « الفرس » و « الفارس » و « الخيل » تتوافر في هذه المصادر في حديثها عن فترة الجاهلية وعصر الرسول (ص) . كما تورد المصادر كلمة « خيل » لتدل على التشكيلات التي يعتمد فيها المقاتلون على الحصان أو الفرس لركوبهم . أما كلمة « كراع » فكانت تستعمل كمصطلح جمعي للدلالة على حيوانات الركوب، لا لتدل على تشكيل قتالي ، كما يظن البعض .

وهناك تسميات لوحدات الخيالة تبعا للمهام التي كانت توكل اليها، ومنها:

١ ـ الكتيبة : وكانت تعادل ما يمكن أن نعتبره اليوم وحدة خيالة .

٢ ـ الطليعة : هي فئة من الفرسان قليلة العدد مهمتها الاستطلاع والتعرف على اوضاع العدو ويكون عدد أفراد الطليعة بين الواحد والعشرة . كما يستخدم اصطلاح « طليعة » على فئة صغيرة تقوم بالغارة السريعة والعودة .

٣ ـ السرية : بين الطليعة بمعناها الثاني ، والسرية شيء من تشابه . أي ان السرية تقوم بمهام الاستطلاع والغارة معا . وقد استعمل الواقدي في (مغازيه) كلمة « سرية » للتفريق بين حملة عسكرية لم يشارك الرسول فيها ، واخرى قادها هو بنفسه .

٤ ـ الجريدة : يستعمل هذا المصطلح غالبا مضافا اليه كلمة « خيل » . ومعنى « جريدة خيل » الجماعة الراكبة للخيول والتي تتوغل في أرض العدو مسافات بعيدة ، وتفعل ما تراه مناسبا وفق الظرف الذي تجد نفسها فيه .

٥ ـ المجردة : وكان هذا المصطلح (المجردة) يستعمل للدلالة على سلاح الخيالة كجزء من التشكيل العسكري للجيش في المعركة .

٦ ـ الرابطة : عند فتح مدينة أو مقاطعة ، كان الفاتحون في بعض الاحيان يتركون وراءهم حامية راكبة لتتمركز في الارض المفتوحة كقوة حراسة متحركة مهمتها قمع اي تحرك أو ثورة ضد الفاتحين . ومن هنا جاء اصطلاح «المرابطة».

٧ ـ الكردوس : لا نجد هذا المصطلح الا في رواية سيف بن عمر التميمي عن معركة اليرموك . اذ أنه يتحدث عن انقسام الخيالة الى « كراديس » ، ويعطينا أسماء قادة هذه الكراديس .

كان عدد الخيل بحوزة المسلمين في أيام معاركهم الاولى قليلا ، ولكنه ازداد بعد أن فتحوا مكة ، وانضم اليه ما كان بحوزة أثريائها من خيل . ففي معركة بدر ، وبعد أن طرد المسلمون بني قريظة ، كان بين ما خلفه هؤلاء ، عدد غير كبير من الخيل

استولى عليها المسلمون . ولا نجد في أخبار معركة حنين وما وقع للمسلمين فيها من غنائم أي ذكر للخيل ، رغم انهم استولوا على / ٦٠٠٠ / جمل . وقد ابتاع المسلمون خيولا مما خلف بنو قريظة وبنو النضير ، ونصت معاهدة الصلح مع نجران أن على أهل نجران ان يقدموا للمسلمين ثلاثين حصانا في حال وقوع حرب .

ويمكن القول ان عدد الفرسان ، كجزء من جيوش المسلمين ، ظل قليلا حتى كان نصرهم في اليرموك والقادسية . اذ كان بين غنائم هاتين المعركتين عدد كبير من الخيول . كما حاول الخلفاء ، ومنهم عمر بن الخطاب أن يزودوا جيوش الفتح بهذه الخيول من مناطق كالكوفة وشمال سورية . وتتحدث المصادر عن شخص اسمه نافع بن الحارث أقطعه الخليفة عمر ارضا في البصرة فجعل منها مزرعة لتربية الخيول .

بعد هذه المقدمة السريعة التي قصدنا منها اثارة الموضوع ، لا الدخول في تفصيلاته ، لا بد لنا من التذكير بأن معرفة العرب بالخيل تعود الى فترة ما قبل الاسلام ، حتى ان الله كرمها فذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . . ». كما جعل الرسول (ص) نصيب الفارس من الغنائم التي يحصل عليها المسلمون من اعدائهم ثلاثة اضعاف ما يحصل عليه الراجل ، وذلك تشجيعا لهم لاقتناء الخيل . وعلى الرغم مما ذكرناه عن قلة عدد الخيل في بعوث الرسول (ص) وغزواته الاولى ، اذ بدأت كما هو معلوم بفرسين فقط في غزوة بدر سنة ٢ هـ ، فانها ما لبثت أن أخذت بالتزايد باضطراد حتى بلغت بضعة الاف فرس في نهاية عهد الرسول (ص) ، واستمرت بالتزايد زمن أبي بكر وعمر . وغدا لفرق الفرسان دور بارز في الجهاد وحركة الفتح الاسلامي داخل الجزيرة وخارجها . ولم يكن القرآن وحده في تكريم الخيل والحث على اقتنائها وتعلم ركوبها ، بل ان هناك العديد من الاحاديث النبوية التي تكرم الخيل وتحث المسلم على الاحسان اليها والترفق بها . ومن ذلك قوله ، صلوات الله عليه : « ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها واعجازها(٦) ، وقوله : « ان المنفق على الخيل في سبيل الله كباسط يديه بالصدقة لا يقبضها »(٧). الى غير ذلك من احاديث كثيرة في هذا المجال .

ولعل أهم تشجيع على اقتناء الخيل اعفاؤها من ضريبة الزكاة ، برغم أن الزكاة فرضت على كافة الانعام ، بما في ذلك الابل التي استعملت للركوب في الجهاد . يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « ان الله تجاوز لكم عن صدقة الخيل »(٨) . وامعانا في تكريم الخيل وراكبيها ، جعل نصيب الفارس من الغنيمة ثلاثة اضعاف

الراجل ، وحديث ذلك كما ترويه المصادر، ان الرسول(ص)عندما قسم غنائم بدر أعطى الفارس سهمين والراجل سهما (٩) . وفي حديث ابن هشام عن غزوة بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم « أعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال . . فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل من ليس له فرس سهم »(١٠) . والنص هنا يحدد بدقة بداية العمل بهذا النظام . واستمر الحال على هذا النهج في غزوة خيبر عام ٧ هـ(١١). أما الشيباني، فقد ذكر في « شرح كتاب السير الكبير » ما يلي : « واذا أصاب المسلمون الغنائم فاحرزوها وارادوا قسمتها فعلى قول أبي حنيفة يعطى الفارس سهمين ، سهما له وسهما لفرسه ، والراجل سهما . وقال (ابو حنيفة) : لا أجعل سهم الفرس أفضل من سهم الرجل المسلم ، وهو قول اهل العراق من أهل الكوفة والبصرة . وعلى قول ابي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني رحمهما الله للفارس ثلاثة أسهم : سهم له وسهمان لفرسه ، وهو قول أهل الحجاز وأهل الشام . قال محمد بن الحسن الشيباني : وليس في هذا تفضيل البهيمة على الادمي ، فان السهمين لا يعطيان للفرس ، وانما يعطيان للفارس فيكون في هذا تفضيل للفارس على الراجل ، وذلك ثابت بالاجماع ، ثم هو يستحق أحد السهمين بالتزام مؤونة فرسة والقيام بتعاهده، والسهم الاخر لقتاله على فرسه، والسهم الثالث لقتاله ببدنه، وقال: أرجح هذا القول(١٢) .

وحول هذه المسألة نقاش اوسع لن ندخل في تفصيلاته . على ان غزوة خيبر اكدت حق الفارس في الحصول على ثلاثة اضعاف ما يحصل عليه الراجل من الغنيمة. وقد يكون من المناسب هنا أن نتساءل عن سبب اهتمام المسلمين بزيادة عدد خيلهم في غزوة خيبر عام ٧هـ ، وقد كان قبل أقل من سنتين اي في غزوة بني قريظة في أواخر العام ٥ هـ لا يتجاوز ستا وثلاثين فرسا !! ولسنا نجد تفسيرا أوضح مما جرى في غزوة أحد حين انشغل رماة المسلمين بجمع الغنائم ، فاغتنمت خيالة المشركين هذا الموقف لان يوجهوا للمسلمين ضربة قاسية من الخلف . وأدرك المسلمون اهمية الخيالة فعملوا مذ ذاك على تقوية هذا الجزء من جيشهم . وقد كان للنظام الذي وضعه الرسول بتخصيص ثلاثة أسهم من الغنيمة للمقاتل الفارس أثره على الذين ارادوا ان يكون لهم نصيب أوفر من هذه الغنائم، فاصطحب بعضهم أكثر من فرس لميدان القتال، ويبدو أن الرسول كان في بعض الاحيان يسهم للشخص الذي يصطحب معه فرسا آخر بأربعة اسهم لفرسيه ، وسهما له ، وبذلك يرتفع نصيبه من الغنائم الى خمسة أضعاف الراجل . على أنه كان لا يسهم للرجل فوق فرسين ، كما ذكر ابن قدامة(١٣) .

على ان هذا لم يحدث الا في حالات قليلة ، اذ ذهب غالبية المحدثين والفقهاء الى القول أن الرسول(ص) لم يكن يسهم لاكثر من فرس واحد(١٤) وأياً كان ، فقد أخذت

اعداد خيول المسلمين بالتزايد ، حتى كان عدد خيول المهاجرين والانصار وحدهم عند فتح مكة ثمانمائة فرس . وكان لبني مزينة في هذه الوقعة مائة فرس، ولأسلم ثلاثون فرسا ولجهينة خمسون فرسا ، ولبني سليم تسعون فرسا(١٥) . وفي غزوة تبوك بلغ عدد الخيل اوج ارتفاعه في عهد الرسول (ص) اذ اشترك في هذه الغزوة عشرة آلاف فارس مسلم(١٦) . وكانت تبوك آخر غزوة قادها الرسول (ص) ، وقد حمى الرسول (ص) لخيول المسلمين حِمى النقيع(١٧) ، مرعى ترعى فيه هذه الخيول المرتبطة للجهاد دون سواها من البهائم ، ولا يسمح لغيرها أن ترعى فيه . وفي هذا التدبير فائدتان : اولاهما ضمان وجود الكلأ الكافي لخيل الجهاد ، وثانيهما : فان وجود هذه الخيول في مكان واحد يجعلها في حالة استعداد دائم عند الحاجة اليها للجهاد . وقد استمر العمل بهذا النظام زمن خلافة الراشدين . واستفاد أبو بكر من قوة الفرسان التي نظمها الرسول (ص) في الاعمال العسكرية التي قام بها لتثبيت هيبة الدولة ابان الردة ، ومن ثم عند اطلاقة عملية الفتح ، بدءا من بعث أسامة بن زيد الى مؤتة ، كما هو معلوم . وقد أضاف ابو بكر عنصرا جديدا في هذا المجال ، اذ استخدم جزءا من حصة الدولة من الغنائم ، وهي الخمس ، في شراء الخيل والسلاح للمقاتلة الذين لا يملكون ما يكفي لشرائهما(١٨) .

واستمر الخليفة عمر بن الخطاب في رعاية الخيل والعناية بها والاعتماد عليها في عمليات الفتح التي اتسعت اتساعا كبيرا في عهده فشملت العراق وفارس والشام ومصر ، ولعبت الخيل وفرسانها دورا بارزا في هذه الفتوح . على ان المؤسف ان مصادرنا لا تسعفنا بأية احصاءات أو أرقام عن عدد هذه الخيول . وربما كان الجديد في هذا المجال هو ما تم زمن هذا الخليفة من تجربة جديدة ومثيرة، وهي المواجهة التي أخذت تقع بين الخيل والافيال التي استعملها الفرس في حروبهم ضد العرب ، بدءا من موقعة الجسر وما تلاها ، على النحو المعروف . وكما فعل الرسول (ص) وأبو بكر من بعده ، اهتم عمر بتوفير المراعي لخيل المسلمين وحمى لها الحمى، لا سيما وانه كسلفه، أبي بكر ، اشترى عددا كبيرا منها منأموال الخمس(١٩) .

ويقودنا هذا الحديث عن الجمال والخيل كأدوات ركوب ونقل في المعارك ، الى دور هذين الحيوانين في طبيعة المعارك وسير عملياتها . ومعروف ان البدو منذ فترة الجاهلية كانوا يقومون بالغزو ، والغزو يعتمد على عناصر ثلاثة هي : سرعة الحركة وخفتها ، وعنصر المفاجأة ، والهرب من الملاحقة . وقد استمر أسلوب الغزو هذا ، وما يجب ان يتوافر له من عناصر لنجاحه ، الاسلوب المتبع في بعض العمليات العسكرية بعد قيام الاسلام . ومن ذلك العمليات التي قادها المثنى بن حارثة على طول نهر الفرات بعد رحيل خالد بن الوليد . فقد كان المثنى يقوم ليلا بمهاجمة المدن

الواقعة على ضفاف النهر ، ثم ما يلبث قبــل شـروق الشمس أن يفر عائــدا الى الصحراء، ليعاود الكرة في اليوم التالي . وكان المثنى ورجاله يحرضون على عــدم اثقال رواحلهم بحمل المتاع الثقيل ، بل كانوا يكتفون بما يقع لهم من ذهب وفضــة ونفائس . وقد فعلوا الشيء ذاته في هجماتهم على الحيرة وسواها من مدن الفرات.

وقد اتبع المسلمون اسلوب الغزو هذا في فتح بلاد ما بين النهرين ، وفي الهجمات الاولية على أذربيجان وطبرستان وخراسان . وقد حتم عليهم هذا الاسلوب، انه اذا ما صمدت قلعة في وجههم أن يتركوها ، واذا ما ثار عليهم سكان مدينة بعد رحيلهم عنها أن يعاودوا الكرة في مهاجمتها حين تسنح الفرصة .

وطبيعي أن أسلوب الغزو في القتال وما يرتبط به من سرعة في الحركة كان يحقق نجاحا أوضح حين تكون الارض المهاجمة منبسطة ، أو صحراوية ، لا عقبات طبيعية فيها تقف في وجه الغزاة . على أن هذا لا يعني أنهم لـم يكونوا مستعدين للقتــال في الاراضي الاخرى . اذ تحفل مصادرنا بأخبار المعارك في الوديان والجبال ، وعبورهــم للانهار ، واستعانتهم بالسكان المحليين لبناء الجسور على هذه الانهار لقلة خبرتهم بمثل هذا العمل . وهكذا فقد كان المقاتــل العربي برغم حبــه للهجوم الخاطف والســريع كأسلوب في القتال ، لا يقف عاجزا أمام أساليب القتال الاخرى التــي تقتضيها طبيعة الارض التي يواجهها ، فقد كانوا يحسنون اختيار مواقع تمركزهم ، كمــا يحسنون تمويه جيوشهم وعتادهم . هذا فضــلا عن استغلالهم لعنصر المفاجــأة ، ومهارتهم في استعمال السسهام من على ظهور الخيل . وأهم من ذلك كله سرعة حركتهم التي كثيرا ما انقذتهم من هلاك ، أو كانت سببا في هلاك عدوهم .

ويستنتج الدارس لأخبار المعارك التي خاضها العرب منذ الفترة المبكرة لقيــام دولتهم ، ومن تتبعه للاستراتيجية التــي استخدموها في عملياتهم التعبوية أن اهــم ما كان يعينهم على التفوق على خصومهم هو مقدرتهم الفائقة علــى تجميع قواتهــم في المناطق التي تتعرض للخطر أكثر من سواها . وخير مثال على ذلك هو أمر الخليفة عمر لخالد بن الوليد أن يترك العراق وأن يلتحق بالجيوش التي كانت تقاتل بالشــام ، وما قام به خالد من جهد خارق في تجميع جنده المبعثرين على أكثر من جبهة في العراق ولم شملهم ، وقطعه الصحراء بزمن قياسي ليلاقي التجمع الرومي في أجنادين ، حيث كان الجيش العربي في مأزق عسكري قد يودي به . وكذلك النجدة التي أرسلها هذا الخليفة لعمرو بن العاص الذي كان يقوم بفتح مصر ، والتي وصلته في زمن قياســي أيضــا . وطبيعي أن العنصر الهام في كل هذا ، كان نظام الاتصالات الذي يربط القائد الاعلى (الخليفة) بقادة جيوش الفتح المنتشرة على رقعة واسعة من الارض ، ويجعله علي معرفة وثيقــة بكل مجريات ووقائع تحركات جيوشــه ، وأوضاعها وحاجاتها .

وهكذا فان سرعة الحركة ، التي هي ارث الغزو الجاهلي من جهة ، والاعتماد على وسائط النقل السريعة واهمها الحصان من جهة ثانية ، هي من أهم عوامل النصر الذي حققته جيوش الفتح في جميع الجبهات . انها الصحراء بارثها القديم من غزو وجمل وحصان ، وراء كثير من عوامل نصر الدولة العربية في معاركها المبكرة .

الحواشي:

(١) انظر ، الطبري ، دي خويه ، ج١ ، ص ٢٥٩٢ .

(٢) انظر : Thesiger, w. Arabian Sands, London 1959, P. 17

(٣) انظر : (Musil , A., Northern negd, new-york 1928, P. 120) .

(٤) انظر : Musil , P. 145 .

(٥) Doughty, C.M., Travels in Arabia Deserta, London 1936, vol. II, P. 553

(٦) أحمد بن حنبل ، المسند ، ج٤ ، ط. المكتب الاسلامي ، بيروت، الطبعة الرابعة١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٣٤٥ .

(٧) المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٨) راجع ، المسند ، أحمد بن حنبل ، ج١ ، ص١٨ ، ٩٢ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦، ١٤٨. وانظر أيضا أبو عبيد كتاب الاموال تحقيق وتعليق محمد خليل هراس ، القاهرة ، دار الفكر ، ط٢ ١٩٧٥ ، ص٥٦٢ – ٥٦٣ و كتاب الخراج، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا ،ط. القاهرة، دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع ١٩٧٨ ص ١٦٩ – ١٧٠ .

(٩) انظر ، شمس الدين السرخسي ، كتاب المبسوط ج١٠ ، ط. بيروت ، دار المعرفة ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م .

(١٠) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق السقا ورفاقه ، القاهرة ، ط. دار الكنوز الادبية . د.ت ، ج٢ ، ص ٢٤٤ .

(١١) المرجع السابق ، ص ٣٥٠ ، ويتفق مع هذا الرأي الواقدي وابن سعد وسواهما .

(١٢) محمد بن الحسن الشيباني ، شرح كتاب السير الكبير ، ج٣ . تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، مطبعة مصر ١٩٦٠ ، ص ٨٨٥–٨٨٦ .

(١٣) ابن قدامة ، موفق الدين ابو عبد الله احمد بن محمد ، المغني، ط. الرياض مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م، ج٨ ، ص ٤٠٧ .

(١٤) انظر : الواقدي ، كتاب المغازي ، ت. مارسدن جونز ، اكسفورد ١٩٦٦ ، ج٢ ، ص ٦٨٨ ، ومالك بن انس ، الموطأ ، اعداد احمد راتب عرموش ، الطبعة الثامنة ، بيروت ، دارالنفائس ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م ، ص ٣٠٣ .

(١٥) الواقدي ، المغازي ، ص ٨٠٠ ، ٨١٢ – ٨١٣ .

(١٦) الواقدي ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

(١٧) احمد بن حنبل ، ج٢ ، ص ١٥٥–١٥٧ .

(١٨) انظر ، السرخسي ، كتاب المبسوط ، الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ج ١٠ ، ص ١٤ .

(١٩) انظر في هذا المجال ، ياقوت الحموي ، مادة « الابرق » ومادة « النقيع » .